حديث المحار

في

دفء البحار

حدثنا ابن عربان قال:

«ما كدت أضع عني ثياب السفر والترحال...، وأهنأ بقليل من راحة الجسم والبال...، وأطوي ملف الخصخصة والتخصيص الذي أضاع من العمر شهوراً عزيزة... حتى قمت أسعى لمجلس الكرام... أنشد سماع حديث انقطعت عنه عاماً وجل العام...

حديث أبي العيال، فيما آل إليه الحال مع قصة الأرصدة المجمدة والمال المرهون... والاستثمار في دنيا الأعمال...
عن أبي الهول وبرنامجه المهول... عن استدعائه للقضاء بتهمة الاحتيال وغسيل المال... وألف ألف خاطر وسؤال...

شغلني في غيبتي الطويلة ما أنا فيه من مهام المتابعة والتمحيص في مهام وجهود الصندوق الكبير في الخصخصة والتخصيص...
ما صغت وأرسلت من تحقيقات عن إصلاح الهياكل الاقتصادية والانفتاح الكبير...
ما شاركت به من أبحاث ودراسات...، وما دعيت إليه من ندوات ومؤتمرات... تعقبها الولائم والمآدب والحفلات...
ومن سفر وترحال متواصل لمختلف البلدان والأمصار
شغلني كل ذلك عن متابعة الأخبار وعن التواصل مع أبي العيال في الديار...

تابعت، أول عهدي بالسفر الطويل، نتفاً في الصحف تؤكد استمرار النظر في قضية أبي الهول من خلال الانتربول... ثم لم أعد أسمع عن هذا الموضوع أخباراً تذاع أو نتفاً في الصحف تباع..
لذلك كنت في شوق شديد لسماع ما آلت إليه الأحوال لدى أبي العيال من جديد..

واستطرد ابن عربان يقول:

«دخلت مجلس الكرام... وبادرت بالسلام.. صافحت..، وصافحتني وجوه

كثيرة علقت بالخيال... إلا وجه أبي العيال..!!
سُئلت عن أخبار السفر والغياب...، فحدثت الأصحاب بالنتف من الأخبار باقتضاب...، أرقب دخول أبي العيال بعين معلقة على الباب...
طال بي الانتظار...
تحدثت وسمعت الحكايا والأخبار من الصحبة والسمار إلا حديث الاستثمار... حديث أبي العيال
نودي لصلاة المغرب... وأقيمت بعدها صلاة العشاء.. وما زلت أنتظر.. لعل وعسى أن يلج أبو العيال المجلس متأخراً وإن لم يكن عهدي به إلا أن يكون سباقاً إلى مجلسنا رائداً في انتظارنا...

طال بي الانتظار حتى بدأ السامر في المجلس ينفض رويداً رويداً... وأنا على حالي تلك آمل وأرجو وحيداً...
وما كدت أهم بالانصراف، بعد أن حوم اليأس بي وطاف..، وآذن الليل بالانتصاف حتى التفتّ إلى لمسة على كتفي...، شيخ جليل سلم فأحسن السلام وهنأ بسلامة العودة والوصول وهو يقول:

«أراك ترقب الباب يا ابن عربان...، لعلك تنتظر صاحبك أبا العيال..؟؟

فأجبت متلهفاً: أي والله يا شيخنا الجليل فما أدري ما الذي أقعده عن الحضور وما عهدته متخلفاً عن مجلسنا الظليل...

هز الشيخ رأسه حسرة وهو يقول: «لقد أطلت الغيبة يا ابن عربان...، ففاتتك أحوال وغابت عنك قصص بعنوان وبغير عنوان...!!

واستطرد الشيخ يقول مؤيداً بما لاحظه في عيني من الإلحاح على سماع المزيد: «لعلك ترغب في سماع ما آل إليه الحال بأبي الهول المسكين وأبو العيال الرصين...

فأما أبو الهول فالعلم عند الله...، ولسنا ندري أين أمسى وفي أي صقع تاه...

حيكت عنه قصص أغرب من الخيال أقل ما قيل فيها أنه راح يحدث المحار في شواطىء البحار عن فنون الاستثمار...!!

وأما أبو العيال فقد ارتحل إلى الجبال في شمال الديار...!!

قال ابن عربان:

«لم يجد الشيخ بداً وقد لاحظ ما أصابني من ذهول المصدوم مما أوجز لي وأنهى من سوء الختام.. إلا أن يستريح في جلسته إلى جانبي ويبدأ بسرد القصة التي فاتتني غائباً فيقول:

«في أول الأيام ـ بعد أن غادرتنا ـ بقي أبو الهول في مكتبه الأنيق يصرف بعض الأمور وينوي تصفية الأعمال على أحسن ما تسمح به الظروف والأحوال... سرح موظفيه..، وأحسن في سراحهم الجزاء وأجزل العطاء...

أما السكرتيرة الحسناء فقد أبت إلا أن تشارك أبا الهول أيام المحنة والعناء كما شاركته أيام العز والرخاء..

اقتصدت من عطر الزنبق وخلطته بقليل من البخور.. وأفلحت في تهذيب لكنتها فأضحت أقرب إلى لهجة الجذور...!!

شرع أبو الهول في سداد بعض الديون مما بقي لديه من مال غير مرهون..

وكان مما يثلج الصدور آنذاك تسابق الناس في الديار على نظرة أبي الهول إلى ميسرة فيما هو فيه من إعسار...

بل وتصدق ميسور الحال من الناس بما يسمح به حاله تزوداً بالخير وحرصاً على زكاة ماله...

فبدأ أبو الهول يقف على قدميه من جديد، بعيداً عن الأنتربول الذي لم تكن له فروع في الديار

وكاد أبو الهول يفلح في تحسين حاله محلياً..، بمال قليل يثمره في مجال ثم يؤدي مما يتيسر من أرباحه إلى دائنيه ممن ضاق بهم الحال...

يشارك في عمل رابح صديقاً مليئاً ليفي حق صاحب محتاج. . .

وانتعشت لدى أبي الهول ومن حوله الآمال، في نشاط بدا يثمر في الديار أطيب الثمار. . .

نشاط فيه تعاطف وتعاون. . ، نجدة ووفاء، عدالة وتوازن. . .

نشاط صاحبته الحركة والنماء. . ، وسعت قبل سعي الناس فيه بركة السماء. . .

ومضى أبو العيال إلى جانب صاحبه أبي الهول في سعيه الحثيث لإصلاح الحال وإنعاش الآمال. . .

يسهر الليالي. . ويدعو الأهل والأصحاب لمزيد من التعاون البناء. . .

يطيب الخواطر ويشرح الصدور لاستثمار في الديار يبشر بالسعد والحبور

وكان مما فكر فيه أبو الهول
وأيده فيه أبو العيال
مشاريع الطاقة الشمسية
فالشمس في بلادنا دائمة السطوع
مشرقة بالخير حانية
حبانا الله بها دائبة في سماء صافية
تبشر بالخير والعافية
بعيداً عن التلوث والسخام
وعن المفاعلات وشبح الموت الزؤام

استدعى أبو الهول من كان قد هاجر من العلماء
فتسابقوا إليه مخلصي النية
وشرعوا في صقل ألواح مادتها الرمال البيضاء
تختزن من الشمس كل الضياء
تحلي المياه وتنير الأفراح
وتصدر الطاقة في بطاريات جافة
لبلاد الضباب. . .

ومضت على ذلك الحال أشهر اقتربت من العام..
تشهد تحسناً حثيثاً في نشاط أبي الهول الحثيث لتعويض ما ضاع في الأسواق العالمية ببرامج استثمار محلية...

وتابع نشاط أبي الهول الجيران...
مال قليل يثمر في الأوطان..، تتسابق في دعمه الجهود المخلصة بعيداً عن الجشع والتكالف والظنون...
وتتعاون على إنجاح تثميره أياد بيضاء تغار على تراب الوطن الثمين... فتغمره البركة ويفيض بالخير والإحسان...

وتحدثت عن مشاريع أبي الهول المحلية ونشاطاته في الطاقة الشمسية التي تكللت بالنجاح في الديار بعض الصحف المحلية...، وألمحت إليها بعض النشرات الدولية...

وبدا نشاط أبي الهول في الديار قدوة تستحق الاقتداء...
وتجربة رائدة توحي بإمكانية النماء بمال قليل بعيداً عن نصائح الصناديق وعن شبكة الديون..
وعن مصائد المضاربة في الأسواق العالمية وما فيها من برامج استثمار لعين...

ورصدت أجهزة السادة الكبار ما تناقلته الأخبار عن نشاطات أبي الهول الناجحة في الديار، فجن جنون السادة واضطربت أركان النظام...
تنمية حقيقية تقوم بمال قليل على أكتاف التعاون والإخلاص في الجهود...؟؟
بعيداً عن الديون وبمعزل عن أسواق المال..؟؟
وفي غنى عن مبدأ تصدير التكنولوجيا من شركات الكبار...؟؟
سيفلح إذا بعض الصغار في كسر الاحتكار.. وسينتشر خبر الفلاح فتصيب عدواه كل الصغار، ستفلس البنوك وتقفل الأسواق...
وتتدنى الأرباح الفاحشة للشركات الفاحشة ذات الأجناس العديدة والأذرع المتمدمدة...
وستعمل المصانع في الدول السعيدة في الحدود الدنيا لنقاط التعادل دون

هوامش جزيلة للأرباح فيسرح العمال وترتفع معدلات البطالة وتقوم المظاهرات وتسقط الحكومات.. حكومات السادة الكبار وتعم الفوضى...

ألا يعلم الصغار أن هياكل سادة الاقتصاد قد ضبطت على استمرار تخلفهم وفشل جهود نمائهم...، على استمرار الديون والنهب الموزون..

جياع لا تعمل وتأكل المخلفات.. تتسول الفتات وتعيش عالة على الحكومات...، وحكومات تستدين لتستورد الطعام لشعوب تعودت أن تستكين..

تلك دعائم النظام ومعادلة الاقتصاد الحر والانفتاح الثمين...

فكيف يجرؤ أبو الهول ـ المطلوب من الإنتربول والصادر بوقف نشاطه قرار من قمة الأمم ـ أن يخل بالنظام فيقود إلى الفوضى كل الأنام..!!؟؟

بحث السادة بنظام ودبروا في إحكام...

فوجدوا من الأعوان من يعينهم ـ محلياً ـ على وقف انتشار ظاهرة أبي الهول...، والعودة بها لدائرة الأفول..

فتحين العون، وكان من دائني أبي الهول فرصة قيام الأخير باستخدام جل ماله السائل في سداد بعض المشتريات العاجلة ووفاء بعض الأجور الحالة.. فقام بتقديم شيكات كان قد اتفق مع أبي الهول على تقديمها في مواعيد محددة كشيكات مؤجلة...،

وأسرع العون بإقامة دعوى إصدار شيكات بدون رصيد ضد أبي الهول العتيد..، تلتها دعوى إشهار الإفلاس..، تطورت لدعوى إفلاس بالاحتيال بحجة قيام أبي الهول بجمع ودائع الناس دون أساس...

وتضرع الناس حول أبي الهول للدائن الشاكي..، وتبرع الكثير منهم بأدائه أضعاف دينه لإسقاط الدعوى وفض النزاع... دون جدوى..

وتوسط الكثير من الوجهاء لدى القضاء بالمصالحة على الديون.. دون فائدة أو رجاء..

وبناء على قرار صادر عن النائب العام
أوقفت أنشطة أبي الهول في الديار وختمت بالشمع الأحمر الأبواب...
واستدعي أبو الهول للمثول أمام النيابة العامة...
وغدا حديث الناس من الخاصة والعامة...»

قال ابن عربان:

«تثاءب الشيخ وتململ في الكلام مستأذناً بالانصراف على أن نعود للحديث في الغد مع حلول الظلام...

فتركنا مجلس الكرام ولم يبق فيه سوانا على أمل اللقاء في الغد إن شاء الله تعالى.

قال ابن عربان:

«نام كل الناس.. إلا أنا.. ظللت في تقلبي على الوساد أتساءل لماذا يركب النحس أبا الهول وصاحبه أبي العيال...
لماذا لا يفسح المجال أمام العباد.. أمام من جد إلى النماء السبيل...
وتناوبتني الهواجس والأفكار...
واضطربت في خاطري الهموم..
فأبعدتني عن عناق النوم...
حتى أنقذني من هواجسي صوت المؤذن الجهور ينطلق من المكبر الكبير الكبير...»